

سيرة للطلاب الموفدين إلى أميركا بعيني طالبة سعودية

«أكثر من سلالمة» ليوسف المحميد تعري الحياة المزدوجة على لسان امرأة



التحدي وتحقيق الذات (لوحة للفنانة سكتة آل طرموخ)

الرواية أكثر من سيرة للطلاب المتعثرين إلى أميركا بعيني طالبة سعودية كتبت بلغة شعرية شغافة، غلب على معظم فصولها التهكم الساخر بلسان رشا من الحياة المزدوجة، التي يعيشها بعض الشباب السعوديين خارج بلادهم.

وتزوج من فتاة سعودية اختارتها له أمه وأنجبت له بنتا. تقول رشا في نهاية الرواية "أخيرا انسجمت مع الرياض، ليست عباءتي وطرحتي، وركبت خلف السائق، وخفت وحشتي حينما التحقت بالعمل بالمستشفى التخصصي".

تستطيع فراقه. لكن سعود كان قد تزوج سارا، وبذلك لم يكن لرشا إلا الابتعاد عنه.

تخرجت رشا وعادت إلى وطنها وفي قلبها حزن عميق، وعرفت من خلال هشام الذي بقي في أميركا أن سعود ترك سارا وعاد إلى السعودية بعد التخرج،

تذهب فتاة من العائلة إلى خارج البلاد، مهما كانت الأسباب، لكنه رضخ بعد ذلك لرغبتها. وتحقق لها ما تريد، وحصلت على بعثة للدراسة في جامعة لوس أنجلوس، وهناك صدمت بأخلاق زميلتها الأميركية كيت التي تعيش معها في سكن جامعي مشترك.

أكثر من سيرة

صدمتها نبعث من علاقات كيت المتعددة مع طلاب وعلاقتهم بها غير بريئة في الكثير من الأحيان، ولكن رشا تعتبر تصرفات كيت خاصة بها كفتاة أميركية مختلفة الثقافة، وتصاحبها في عطلة نهاية الأسبوع لتقضي العطلة مع أسرة كيت في إحدى المدن الأميركية. تلك التجربة مع كيت وأسرتها، جعلتها تقرر تأجير شقة، والاستقلال فيها، والعيش كما تحب.

كان أول معارفها من الطلاب السعوديين هشام، الذي تعامل معها كاخ مرشد لها وأخلص لها إلى النهاية. وتعرفت على سعود الذي أحبه حبا عميقا. وحكت الساردة الكثير عن حياة زملائها من الطلاب السعوديين والخليجيين، كشيخة وشمسة وسالم ومبارك وسيف وبنار، وكانت تجمعهم أماكن كثيرة للهو والترفيه. وكان كل أملها أن يتزوجها سعود عند تخرجها،

لكنه كبقية من عرفتهم فضل عند اختيار الزوجة أن تكون بلا تجربة حب معه أو غيره، لذلك فقد أخذ بماطل في التقدم لخطبتها.

تتعرّف رشا على سارا الأميركية، وهي سعودية الأصل، فوالدها كان طالبا مبتعثا للدراسة في أميركا وتزوج أمها، فأنجبت له سارا. لكنه حالما أكمل دراسته

عاد إلى بلده، وتزوج هناك، وقطع أي اتصال بزوجه الأميركية وابنته ذات العامين. وحاولت رشا مساعدتها للعثور على والدها في السعودية، ولكنها استطاعت أن تعثر على بدر وهو أخ لسارا من أم سعودية، غير أن الأب حالما علم بالأمر رفض الاعتراض بسارا وهددها بأن يتبعه عن ولده بدر، وأنها مجرد ابنة غير شرعية لا أكثر، ولا يريد معرفتها.

وردت سارا الفضل لرشا بأن صاحبت سعود حبيب رشا أثناء غيابها بجازرة لرؤية أسرتها بالرياض. وما إن عادت واكتشفت هذه العلاقة، حتى تركت سعود، لتكتشف بعد ذلك أنها تحبه، ولا

تخوض الرواية الجديدة للكاتب السعودي يوسف المحميد في قضايا هامة، تتعلق بوضع المرأة السعودية وما تعيشه من مكابدة لتحقيق حريتها وذاتها، والطريف أن الرواية جاءت على لسان امرأة نتعرف من خلالها على عوالم التمرد والحب والحزن والحرية التي خاضتها البطلة.

انطلق السارد من سير من صادفهم

رشا طالبة السعودية العشرينية في كلية الطب بالرياض، وأمضت معهم سنوات الدراسة في أميركا، بعد أن حولت ملفها لإكمال دراستها العليا هناك، فتم قبولها في جامعة لوس أنجلوس.

تناولت الإشكالية النصية للرواية سلسلة من الأحداث التي مرت بها رشا لتحقيق حلم السارد بتحقيق الحرية الشخصية لطلته وغيرها، فقد زوّرت رشا توقيع والدها لكي تقبل للجامعة بشرط المرافقة لها في أميركا من قبل الأب أو الأخ. وعرض السارد الكثير من الشخصيات التي رافقت رشا أثناء

دراستها، سواء من الطلاب الخليجيين أو من الأميركيين، الذين ارتبطت بهم بعلاقات زمامة. وتشكل متن الرواية من سرد بضمير المتكلم، الذي لم يكن مقنعا أحيانا. لكون السارد يتحدث بلسان أنثى، وليست أي أنثى، فالساردة قادمة من مجتمع محافظ.

الكثير من الأسئلة عن الحب، وما يعنيه ك مفهوم وأسلوب حياة يجمع بين الرجل والمرأة في بلداننا العربية طرحتها

الرواية. رشا الطالبة التي خفق قلبها بالحب لأول مرة لزميلها عبدالإله في كلية الطب واحدة من هؤلاء الفتيات. كانت تعيش حياة غير منسجمة مع واقعها الأسري، فبيتها يخلو من حنو الأب المتفزع لعائلته، فهو

متزوج من ثانية، فتحة، التي استحوذت على اهتمامه. فترك أمها تنثر شكواها لها ولأختها من إهمال أبيهما لها، ومن تصرفات الزوجة

الثانية السيئة معها. عبدالإله حبيب رشا كان لوعوبا، وما إن توطدت علاقته بها واعترفت له بحبها، حتى أخذ يماطل في خطبتها منذرعا برفض العائلة، وهو في الحقيقة، قد صرف النظر عن خطبتها، لكونها اعترفت له بحبها، فهو يحبذ أن تكون خطيبته من دون تجربة حب سابقة، حتى لو كان هو ذلك الشخص المحبوب.

فتصاب رشا بخيبة أمل حين يعترف لها بأن له علاقة ثانية بفتاة أخرى، وأن لا ضير في أن يتزوج منها ومن الأخرى، فتقرر تركه وترك البلاد بعد هذه الصدمة. تبحث رشا عن فرصة لإكمال دراستها الجامعية في أميركا، وبالرغم من رفض والدها في البداية والعائلة لفكرة أن

فيصل عبدالحسن
كاتب عراقي

تتساءل رشا بطلة رواية "أكثر من سلالمة" ليوسف المحميد، لماذا لا يتزوج شبابنا حبيباتهم؟ لماذا يعتقدون أنهم خائنات حين عثرن عن مشاعرهن بصدق وأحببهن بعمق، وأخلصن في حبهن؟ ولم يجزمن بأن غيرهن ممن تزوجهن دون معرفة سابقة لم يعرفن أحدا قبلهن؟

أسست رواية المحميد لمزجيات نصية للاحتفاء بسيرة فتاة سعودية حلمت بالتغيير الاجتماعي للأوضاع السائدة للمرأة في بلادها. وحملت سيرتها حياتها المتعزبة على العادات والتقاليد، التي وضعت المرأة في إطار محدد لا يمكنها تجاوزه من خلال الاعراف المكتبة لحرية.

خرق التابوهات

دارت محافل السرد في الرواية، التي صدرت مؤخرا عن المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، بين مدينتي الرياض ولوس أنجلوس. والفرق بين الجغرافيتين والثقافتين لهاتين المدينتين هائل، ولا يمكن لأي سارد أن يوفق بمرح حيثيات المقارنة بينهما من دون أن يقع في المبالغة.

سيرة فتاة سعودية

حلمت بالتغيير الاجتماعي
لأوضاع المرأة في بلادها،
فعاثت حياة متمردة
على العادات

تشكل متن الرواية من سرديات مشوقة، لما زخرت به الجغرافيتان المختلفتان، الرياض والمدن الأميركية من نماذج مختلفة لتساقب قدموا من السعودية لإكمال دراساتهم في جامعاتها. بعضهم جاء لكي يستزيد من المعارف ويعود لخدمة أبناء بلده، والقسم الآخر جاء ليستمتع بالحياة في أميركا، وحول الدراسة إلى سلّم بلوغ غاية في الاستمتاع بما حرم منه.

الكاتبة السورية فاطمة نداف تعيدنا إلى حي الذكريات في حلب

ماديا ومعنويا، وفي حفلات الزواج التي طالما تمت بين عائلتين من الحي، تشارك العوائل الأخرى في جميع المراحل التي يمر بها الزواج، فما هو خاص بالرجال، يشارك فيه الرجال، وما هو خاص بالنساء، تشارك فيه النساء، فهو عرس الجميع وليس عرس عائلتين فقط، وتذكر الكاتبة أدق التفاصيل عن طقوس الزواج بما فيها الأغاني والأهازيج والرقصات، وفي الأعياد يجتمع الأقارب في بيت واحد لأحد منهم، بعد أداء الواجبات الدينية والاجتماعية، فيتناولون الطعام ويجدون تواصلهم ويتجاوزون ما بينهم من خلافات.

كما تعيدنا إلى شهر رمضان قائلة "تتبدل الحياة في رمضان عن بقية الشهور في الأحياء القديمة التي ما زال أهلها يعيشون رائحة الأجداد وطقوسهم، حيث يفتقون على صوت المسحراتي الشجي والطفلة الصغيرة التي يتقر عليها بإيقاع ناعم".

ثم تقول "غالبا ما تتدبر الحاجة أم ديبو بإيقاظ من لم يبق على صوت المسحراتي، طلبا للثواب، تدق الأبواب ولا تنزل ديبا السمينية عن سقاية الباب حتى ياتيها صوت: يعطيك العافية يا حاجة". وتنتهي روايتها بنبوءتين، الأولى: سيأتي زمن يتراجع فيه المد عن جزره ويعمر المدينة ماء مالج، والثانية: إن الكنز المدفون منذ آلاف السنين، بين الماء والكلس، سيظهر ذات يوم ليغمق الرفاه وينعم الناس بالثراء.

متغيرات، ويمكنني أن أنكر أم بركات التي امتهنت تغسيل الموتى. وانتهى عدد من أبناء الحي إلى مصائر مأساوية، فالأستاذ خميس مدرس اللغة العربية، اختفى منذ اعتقاله، وولدون الشاب الجامعي الذي رحل إلى الجزائر للعمل معلما فيها، غاب هو الآخر، وحين عاد، وجد كل شيء قد تغير، فمات متجمدا في مقبرة الحي، ولم يكن معه سوى حقيبة سفر فارغة، وانتهى محمود بعد كل مغامراته، نهاية فاجعة، أما الجميلة فتحية فقد انتهت إلى البيغاء والجنون، حتى بعض من كان يمثل حالة إيجابية، انتهت إلى الضد منها، فالخوجة عزيزة انتهت إلى احتراق بيتها ولم يجدوا جسدها، ومريم إلى العنوسة والانتحار، وانتهى الرسام سامي إلى الانحراف.

يبقى القول إن الرواية تستعيد الكثير من يوميات الحياة في حي الكلاسة وتقاليدته الاجتماعية، فالقريب الذي لا ينسى قريبه الفقير ويأتي له مع كل عيد بمبلغ من المال، ليستعين به على متطلبات العيد وكسوة الأبناء، وتتبادل البيوت الطعام وبخاصة في شهر رمضان لتساوي الموائد في ما تتوفر عليه من طعام وشراب، ويهبط الجميع رجلا ونساء، إلى نجدة من يتعرض لحال يحتاج فيها إلى الدعم،

الانفصال، ونضالات مواجهة نتائجه على الصعيدين المدني والعسكري، والفكري منهما والحركي.

وكان التعداد الحزبي، ليس في حي الكلاسة فحسب، بل أيضا في الرقاق الذي تقيم فيه عائلة الساردة، وهنا لا بد من الإشارة إلى التماهي بين الكاتبة والساردة، هو انعكاس أو امتداد للقوى السياسية في سوريا آنذاك، حيث كان في ذلك الرقاق، القومي الناصري والبعثي والشيعي والأخ المسلم، ويكون حضور كل منهم بتأثير المجتمع الذي تغلب عليه صفة المحافظة والالتزام الديني والاجتماعي، وعرف الحي ظاهرة هجرة بعض أبنائه من الشباب، بتأثير ظروف سياسية أو معيشية وبخاصة بعد الخامس من يونيو وما رافق النكسة من نتائج.

ورغم السيطرة الذكورية كما هو الحال في معظم الأحياء العريقة، فللمرأة حضورها من خلال نشاطها العملي أو من خلال طموحها في التحرر والتغيير ف"الخوجة" عزيزة، وهي التي تعلم أبناء الحي القرآن الكريم والقراءة وتتخذ من بيتها مكانا للتعليم، وهي عازفة عود أيضا، وأم ديبو المعروفة عند جميع نساء الحي وهي تمارس الطب الشعبي و"الحجامة" ومريم التي تمثل الجيل الجديد في طموحاته وما يعيشه من

فصولها الثمانية والثلاثين، ومن خلال ما عاشه أناسه، جعلت القارئ يستذكر الأحداث الكبرى التي مرت بها سوريا أو عرفها الوطن العربي من قضايا وطنية وقومية، حيث العائلة التي قتلت قوات الاحتلال الفرنسي عائلها، كما كانت نكبة فلسطين حاضرة من خلال المقاتل ابن حي الكلاسة الذي تطوع للدفاع عن عروبة فلسطين، فعاد من دون قديمين ليواصل حياته على كرسي متحرك، وعشنا مع أبناء هذا الحي بكل عنفوان هؤلاء الأبناء، الحاضر في التاريخ الوطني والقومي، أعراس الوحدة المصرية - السورية وما اقترنت به من آمال، كما عشنا معهم وجع



حي عريق مليء بالذكريات

طرابلس وبغداد ودمشق، ثم استقر بها المقام أخيرا في فنلندا.

وقبل أن ابدي ملاحظاتي بشأن "المتاهة" لا بد من القول، إنه ما عادت للرواية حدود فنية، وصارت مثلما يشبه النص المفتوح، وهذا الذي أصف به فن الرواية أو جنسها الأدبي. في هذا السياق تنتسب رواية "المتاهة" إلى الرواية الواقعية في مكانها وأحداثها وشخصياتها، بل حتى في متخيلها الذي يغني واقعية النص ولا يبتعد عن الواقع، لذا حين كتبت في عنوان هذه المقالة إن الكاتبة السورية فاطمة نداف أعادتنا إلى حي الكلاسة في حلب، فذلك ما عشته في جميع

حميد سعيد
كاتب عراقي

قرأت أخيرا رواية بعنوان "المتاهة" للكاتبة السورية فاطمة نداف، والمكان فيها حي الكلاسة الحلب، ومعظم أشخاصها من أبناء هذا الحي، من أجيال تنتسب إلى زمن الرواية الذي يمتد على ما يقرب من ثلاثة عقود، من أواخر الأربعينات إلى أواخر السبعينات، وتكاد هذه الرواية تؤرخ وترصد انعكاسات الأحداث الوطنية والقومية على هذا الحي، وفي حالات كثيرة على رفاق واحد من أزقة الحي المذكور، الذي يتأثر سلبا أو إيجابا بتلك الأحداث.

وهو من أقدم أحياء مدينة حلب وما زال يعد من قبل الباحثين مرجعا لمعرفة التراث الحلبى بجميع صفحاته، وبخاصة في الطقوس والعادات والتقاليد الاجتماعية، والكاتبة نداف، ولدت وعاشت طفولتها وصباها فيه، وكانت شاهدة على الكثير مما شهد من أحداث ومتغيرات في زمن روايتها هذه، وقد أشرنا إليه وحددناه من قبل في البداية.

أما روايتها "المتاهة"، ومن المفارقات أنها أنجزت كتابتها في ليبيا عام 1976، وهذا يعني أنها صدرت بعد أكثر من أربعين عاما من كتابتها، واطن أن هذا التأخير في النشر بسبب عدم استقرار الكاتبة، حيث تنقلت بين